



جوهرة

الطاعون المتوحش

سيد عبد العزيز

دار الدعوة



مغامرات عجيبة جدا

- سلسلة مليئة بالإثارة والتشويق
- أغرب الرحلات والمفارقات
- تجمع بين المتعة والمعرفة
- لاغنى عنها في الرحلات والبيت والمواصلات



دار الدعوة

٢ شارع منشا - محرم بك - الإسكندرية

تليفاكس: ٣٩٠١٩١٤ـ٣٩٠٧٩٩٨ / ٠٣

مغامرات مؤمن
[٦١]

جوهرة الطاعون الشرس

الطبعة الأولى

رقم الإيداع القانونى: ٢٠٠٦/٢١٩٨
الترقيم الدولى: I.S.B.N 977- 253- 386- 3

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع

٢ شارع منشا - محرم بك - الإسكندرية
تليفون: ٣٩٠١٩١٤ - فاكس: ٥٩٠١٦٩٥

جوهرة الطاعون الشرس

تأليف

علاء الدين طعيمه

رسوم

عبد الرحمن بكر




بسم الله الرحمن الرحيم

يا ترى ما هو الطـاعون؟... وماذا يسـببه للبـشرية من آلام.. وهل هو مرض بعينه.. واسـتطاع البشر أن يقاومـوه ويتغلبـوا عليه؟.. أم أن كلمة طـاعون تعنى الوباء الذى يجتاح البـلاد.. فيتركهـا وقد قضى على الحياة فيـها تمامًا.. ولماذا الطاعون؟.. لماذا يداهمنا؟.. ولماذا لا يرحمنا؟.. وهل هناك من يستطيع الفرار من قبضته العتيدة؟.

هذا.. قد تعرفـه فى قصتنا.. مع المغـامر مؤمن فى مغامرة جوهرة الطاعون الشرس.

كـان مـؤمن فى طريـقـه إلى العـودة من إحـدى مـغامـراته.. وكان مـتشـوقًـا إلى البيت وإلى أمـه..

ولذلك كان يحفِّز جواده على الإسراع... وهو فى
طريق العودة يمر غالبًا بما يجعله يحيد عنها ويرجئها
إلى أن يفرغ من مغامرة أو مهمة قد تعترض طريقه
أو حق ضائع يدعوه لكى ينقذه ويعيده إلى
أصحابه.

وكان فى هذه المرة يتمنى لو لم ينشغل بشىء لتتم
الرحلة بالرجوع والاستقرار بعض الوقت فى
القاهرة.

لكن.. يبدو أن الأمور لم تأت على هواه.. وأن
الرحلة سوف تنقطع... وأن الحياة تطالبه بأن يكون
مستعدًا لمغامرة خطيرة جدًا... عندما جاء الليل...
وغالبه الشعور بالحاجة للنوم ولو لساعات رأى فى

الطريق امرأة منحنية على عصاتها تسير أمامه.. أشفق عليها.. وأراد أن يحملها على جواده كعادته:

- سيدتي.. سيدتي.. إني أنزل لك عن جوادي لأحملك.

- من أنت؟

- لا يهم يا سيدتي... فقط أنا أعرض عليك المساعدة... وعلى كلٍ.. أنا أُدعى مؤمن.. من مصر.

نظرت السيدة إلى مؤمن الذي كان يقف ممسكًا بلجام جواده أمامها، واغرورقت عيناها بالدموع.. فانحدرت على خدين مجعّدين تحمل صورًا للقمر

البدر.. فلمعت معلنة عن حرقة شديدة فى صدرها:
-عفوا سيدتى.. هل أنا أزعجتك إلى هذا الحد.. صدقينى..أنا..

وقاطعته العجوز قائلة:

- لا أصدق.. لا أصدق يا مؤمن ياولدى.. ياه.. فى كثير من الأحيان يدعو الإنسان ربه بأشياء.. قد يستجيب له فيها.. فإذا استجاب.. شكره.. ولكن.. أحيانا يدعوه بأشياء يعتقد أنها مستحيلة ولا يمكن أن تحدث.. ولكن الله أكبر.. الله قدير.. فإذا استجاب له فيها لا يملك المرء إلا هذه الدموع.. يزرفها شكرًا وتقديرًا وحمدًا لله الكريم.. القادر على كل شىء .

- معذرة يا سيدتى.. ولو أن كلامك جميل وطيب.. إلا أننى لا أفهم.

- اجلس ياولدى.. اربط جوادك هنا واجلس .. فإنى محدثتك.

واستجاب لرغبتها.. وجلس بجوارها بعد أن ربط الجواد فى شجرة:

- أتعرف يامـؤمن يا ولدى... ما كنـت أدعو الله إلا أن يســوقك إلىّ.. وكنت أعلم أنـه طلبٌ بعــيـدٌ ومـسـتـحـيل.. فكم فى الدنيـا من بشـر.. وبلاد.. وأحـداث... فمـن أنا حتى يسـتـجـيب لى.. لكنه اسـتجـاب.. ولم أفكر وأنا أسـيـر فى هذا الطريق

الوعـر إلا فى مـؤمن.. فـإذا مؤمـن يأتى من خلفى
ويسألنى المساعدة.

تعجب مؤمن من حديث العـجوز.. وأدرك بحسه
أنه على أبواب مغامرة جديدة:

- الحمـد لله ياسيدتى.. الـله قال: ادعونى أسـتجب
لكم.. لكن أمـا كنت تدعـينه بشىء أفـضل منى..
لماذا أنا بالذات؟

تنهدت العجوز وهى جالسـة، ثم رفعت عصاتها،
وأشارت بـطرفها إلـى جهة اليـمين، وقالت بـصوت
محترق حزنًا وألمًا:

- هـناك يـا مـــــؤمـن.. وراء الأفق بـلاد من بـلاد
المسلمين.. هاجـمها الطاعـون.. إنه يفنيهـا.. يقتل
الجماعات بلا رحمة.



- يا إلهى.. يا إلهى.. إنـا لله.. وإنا إليـه راجعـون.. سـيدتى.. مـا الذى يمكننى أن أقدمـه.. أخبـرينى.. أرجوك..

وفى تلك الأثنـاء من الليل فى بقـعـة أخـرى من الأرض كان أهل البلدة المسلمـة فى حال بئيس... لا يعلم بهم أحد.. ولا يدرى بهم مسلم..

ولا يشاركهم حزنهم وغـمهم إلا قلوب جيرانهم من القرى المسلمة المجاورة.. لكن.. ما من أحد يجرؤ على التقـدم والمساعدة.. أغلقت كل قـرية بابها على نفسـها... وقال أهلوها: ما لنا والطاعـون.. ما الذى يمكننا فعله حيال الطاعون.. لو ذهبنا لنجدتهم لهلكنا كلنا.

أمـا البلدة التى أصـابهـا الطاعـون.. فقـد كـانت كبيرة... متراميمـة الأطراف.. عدد سكانها كبير جداً .. وياأسـفـاه.. أكلُ هؤلاء المسلـمين يكونون نهـبـة للمــوت.. أكلُ هـؤلاء الموحـــدين بالله.. يـكونون فـريسة للمـرض الخطيـر ولا يجدون من يعـاونهم.. أخـبارهم تـتلقفـهـا الآذان من الألسنة.. كل القـرى تتحسر.. وأهلهم يضـربون كفًا بكف ولا يملكون فى أجسـادهـم حركة.. قعـدوا عن معاونتـهـم ونصرتهم ونجـدتهم وقالـوا ما بأيدينا إلا الدعـاء والتـوسل إلى الله حتى ينقذهـم.. لا يمكننا أن نذهـب إليهم أبداً..لا قوة لنا بالطاعون.

وهناك.. فى البلدة المسلمة التى تدعى النهرين.. كان الطاعون لا يرحم.

السماء معتمة ليل نهار.. الضباب كثيف.. الرطوبة شديدة.. حبس النسيم والهواء عن الشوارع والحقول.. جثم الخوف على البيوت.. الخوف من كل شىء.. فالماء قد تلوث بالجراثيم.. والزرع تهشم من الحر والإهمال... ولم تسلم الحيوانات من بطش المرض.. هلكت الكلاب والقطط والأبقار والأغنام.. عجبًا لمرض وبائى يطيح بالإنسان والنبات والحيوان.. يفسد الهواء.. ويلوث الماء.. فلم تعد النيران القوية تقدر على الصمود.. ولا الجياد العتية تقوى على الركوض.. لم يتحمل المرض إلا كائن

واحد فقط... هو الذباب.. الذباب الذى انتشر بأعداد رهيبة.. وتكاثر على الجثث.. بل على أكوام الجثث التى تركها الناس خوفًا من العدوى.. ياإلهى.. يا إلهى.. إنه طاعون رهيب فظيع.

أين النجدة والغوث؟!.. لماذا لا يتعاون الناس على المرض حتى يسيطروا عليه؟

وفى داخل البيوت البائسة.. حبس الناس أنفسهم.. وأحكموا غلق الأبواب والنوافذ حتى لا يتسلل الطاعون إليهم.. ومع ذلك كان المرض أشد خبثًا ودهاءً.. فانتشر وانتشر وانتشر.

وكل من بانت عليه أعراض المرض كان أهله يرمونه فى الشارع قبل أن يصيبهم بالعدوى.. ومن

لم يمت بالعدوى مات من الخوف.. ومن حاول الفرار مات فى الطريق.. حتى الأطباء الذين كانوا أشجع الناس.. جاءوا للمداواة، فإذا هم بحاجة لمن يداويهم... المريض فى أول الأمر يعطش عطشًا شديداً.. وتلتهب شفتاه فى الحال ثم يحمر جلده وينتفخ ثم يتقطع الجلد ويتمزق.. ويندفع الصديد والقيح من كل مكان من جسمه.. وتؤلمه الحرارة الشديدة التى أصبحت تشوى لحمه من الداخل.. لذلك كان الواحد منهم يجرى إلى النهر ليطفئ الحرارة بالماء... ويظل يشرب ويستحم حتى يعاجله الموت هناك.

كانت بلاد النهرين تئن.. والجثث تملأ النهرين

وتتناثر على الشاطئ.. ولولا رجال شجعان يحملون الجثث ويرمونها بعيداً.. لتلوث النهر.. وانتقلت العدوى إلى كل البلاد المسلمة القريبة.. لكن ماذا سيحدث عندما يموت هؤلاء الشجعان الذين يحملون الجثث ويطهرون الماء؟!.

لابد أن النهرين سينقلان الطاعون إلى كل البلاد المسلمة التى حولهما.

كل الناس فى هذه الساعة فى البيوت يتحصنون من الموت الذى يعيث فساداً فى البلدة.. وإذا سرت فى الطريق لوجدت آخرين ملقين هنا وهناك.. موتى.. تحت الأشجار وعلى نواصى الشوارع.. وعلى سلالم البيوت.. وقد تدخل بيتاً لتجد كل من

به قد راحوا وتركوا أجساداً متعفنة تصرخ بالتحذير
من الموت الساحق.

ما عاد أحد يخرج خلف الجنازات.. بل ما عاد
أحد يدفن الموتى.. إنه غمٌ كبير.

لكن ما بال أهل القرى والبلاد المجاورة؟!
فالعجب كل العجب من سكوتهم.. وعدم تحركهم
لنجدة أهل النهرين.

إنهم يسألون فقط عن كيفية الدعاء لهم...
قلوبهم تتقطع من أجلهم، لكن أرجلهم لا تقوى
على القيام ثم الذهاب إليهم.. ثم العمل على
نجدتهم.. والخوف من الطاعون ألصق مؤخرة

رجال فى الأرض فما عاد أحدهم يحب الموت..
ل كره سيرته... وأحب الحياة، رغم أنه فى النهاية
ن يعيش كثيراً.. وأن الموت آت آت مهما طال
لعمر.

لكن... ما هو سبب الطاعون الذى أنهك
لبلدة..ومن أين أتى؟

كان هذا سؤال مؤمن للسيدة العجوز:

- هذا ما كنت أريدك من أجله يامؤمن ياولدى.

- خير يا سيدتى .. خير بإذن الله .

تنهدت السيدة مرة أخرى وقالت:

- الثعابين يا مؤمن.. الثعابين ياولدى.

- الثعابين؟!

- نعم.. هى التى فعلت ذلك.

- ثعابين تحمل الطاعون للبلاد؛.. كيف ذلك؟

- إن الذى أصاب هذه البلاد هو السم.. سم نفثته الثعابين فى الماء والزرع والهواء.. سم زعاف يامؤمن..

- لكن.. فلتسأل من أين أتت هذه الثعابين؟.

- إنها من أقصى الغرب يا ولدى، ولو سألت فاسأل عن الذى أرسلها إلينا حتى تقتل المسلمين وتحطم مجدهم... وتثأر من حضارتهم.. رجل.. ساحر... ليس يهوديًا.. ولا مسيحيًا.. إنما هو

مسيحى صهيونى معًا... تتبرأ منه المسيحية الحقة وتنبذه اليهودية السليمة... ساحر... حقد على المسلمين وأراد أن يدمر شوكتهم... حاربهم بكلط قوة فلم يقدر عليهم.. فما كان منه إلا أن أرسل ثعابينه المسحورة.. عبرت الجبال والبحار حتى وصلت إلى بلاد النهرين فنفخت فى الماء وبثت سمها فى الأرجاء.. وأنا يا مؤمن واحدة من أهل هذه البلاد.. أنا من بلاد النهرين.. صنعتى التجارة.. أجوب الأرض وأكسب لقمة عيشى بالحلال.. وفى الأيام الأخيرة ما عدت أتاجر... وأنا أطوف بالبلاد أستغيث بالعباد أن يلحقوا بأهلنا هناك... وأن يغيثوهم.

- هل مازالت الثعابين هناك؟

- لا ياولدى.. لا أعتقد.. لماذا يبقون وقد نجحوا فى الدمار. لماذا يظلون فى الخراب.. إنهم بدون شك... يقبعون فى مكان ما ينتظرون من الساحر اللئيم الحقود الخبيث الأمر فى مهاجمة بلدة أخرى من بلاد المسلمين.

- يا سيدتى.. وحقُ خالقِ هذا الليل الذى جمع بيننا لتخبريننى أين أجد هذا الساحر... ولن أهدأ... ولن ينم لى جفن.. ولن يلتقى لى جنب بفراش ولن أتنعم بطعام ولا استحمام.. إلا ورأسه على نصل سيفى هذا.



- أبشر يا ولدى.. أبشر.. ما دام الله قد استجاب لدعائى فإن الأمر سيتمه بإذن الله .. أتعرف.. أتعرف لماذ اخترت أن أدعو الله أن يأتينى بك أنت بالذات؟

- بسبب شهرتى ومغامراتى؟

- هزت السيدة رأسها وقالت:

- لا.. لا يا ولدى.. أبدًا.. لو احتجت منك إلى القوة... فإن للجيوش قوة تفوق قوتك .. ولو احتجت منك إلى شجاعة فإن اللصوص لديهم شجاعة.. ولو احتجت منك المغامرة.. فإن شبابًا يملؤون البلاد بالمغامرات ... وإنما أنا أحتاج منك ما لم أجده فى كل هؤلاء.. أتعرف ما هو؟

- ما هو يا سيدتى.. لقد حيرتنى حقًا.

ابتسمت العجوز الطيبة وقالت:

- أحتاج منك التقوى ياмؤمن؟.. فأنت مشهور بالتقوى والخوف من الله، كما أنك مشهور بالمغامرات الشجاعة.. أنت يا مؤمن يا ولدى.. عُرف عنك تقوى الله فى السر والعلانية.. وهذا ... هذا ما أعطاك القدرة على النجاح والتقدم مع صغر سنك وضآلة حجمك.. فمن يتقى الله ويتجنب المعاصى.. ويحترم مراقبة الله له.. فهو حبيب الله.. وما دام الله قد رضى عنه وأحبه.. أعطاه ما لم يعط البشر من قوة وشهرة وبشارة.. أنت يا مؤمن.. غلام تقى... ولا شك أنك تعلم

حديث ثوبـان رضى الله عنه عندما قـال له رسول الله ﷺ .. سـيـأتى يوم القـيـامـة أنـاسٌ لديهم من الأعمـال مثل جبل أحـد -أعمال صـالحة- ولكن الله تعالى يجعـلها هباءً منثورًا.. أى ينسفـها وكأن العـبد لم يعـملها.. فلمـا اندهش ثوبان رضى الله عنه.. وسـأل النبى عن سر ذلك.. قـال ﷺ: هؤلاء القوم سيأتـون يوم القيامة بأعمال صـالحة وخيرات مثل الجبال.. وهـم إخوان لكم.. يقومون الليل كما تقومون.. لكن الواحـد منهم إذا اختلى بمحارم الله انتهكهـا.. ولم يحترم مراقبـة الله له... إذًا يامؤمن مـا دام المرء يخـشى الله ويتـقـيـه.. فهـذا هو سـر النجاح والنصر.. وأنت كذلك.

أحس مؤمن بالخجل من إطراء هذه السيدة له وتزكيتها له فحوَّل الموضوع:

- يا سيدتى.. ما شأنك بى.. إن صحابة رسول الله ﷺ فتحوا بلاد الدنيا بتقوى الله.. فلما ذهبوا وذهبت أيامهم.. وجاء من بعدهم فاجترأ على المعاصى.. ولم يراع الحرمات.. ولم يتناه الناس عن المنكر فيما بينهم ولم يأمروا بالمعروف.. ضعفوا، فتمكن منهم العدو.. لكن .. أنا أريد الآن معرفة مكان هذا الساحر.

- ستعرف كل شىء فى حينه يا مؤمن.. لكن وحدك هكذا.. لا يكون.. ابنى سيأتى معك... الآن

تحملنى خلفك على هذا الجواد ولنذهب إلى البلدة القريبة.. إنه هناك فى بيته.. سيعجب بحضورك.. فهو أيضًا ينتظرك.. وهناك سنتكلم ونخطط لما يجب أن نعمله ضد هذا الساحر اللعين.

وقام مؤمن بأدب... فحمل السيدة العجوز بحرص وعناية على ظهر جواده.. ولم يشأ فى الأول أن يركب.. بل أراد أن يترجل ممسكًا بلجام حصانه .. لكنها أخبرته أن المشوار طويل.. والأمر عاجل.

فركب وانطلق يقطع الطريق ليلتقى برفيقه الجديد فى الرحلة.. وعند حلول الفجر.. دخل القرية... وتوجه بالعجوز إلى أحد البيوت... ونزلا وطرقا الباب.. ففتح له شاب قوى وأدخله هو والسيدة

لعجوز.. إنه ابنها الهمام «سمعان».. الذى ما إن
رف أن الضيف هو مؤمن حتى بكى شكرًا لله،
عانقه.. وأحسن ضيافته.. ومضت ليلة بعد
خرى.. وهو يجالس مؤمن ويقص عليه أحوال
لساحر الغربى الذى يتربص بالمسلمين وبأرضهم:

- أتعرف يا مؤمن.. هناك رجال أربعة يحيطون به.. يدفعونه للشر... والذى لا تعرفه أيضًا أن الثعابين التى تعيث فى أرضنا بالفساد والدمار إنما هى من البشر.

- البشر... بنى آدم؟ ... كيف.

- استطاع الساحر أن يمسخهم ثعابين.. عندما استخدم سحره فى سلب عقولهم.. وقلوبهم

الطيبة.. حولها إلى قلوب جاحدة.. شريرة.. ا
تعرف الرحمة.. إنهم من أبناء شعبه الطيب الذ
لا يعرف سوء طويته.

- يا لها من جرائم.. وجرائم متعددة فى جُرم واحد

- نعم يا مؤمن.. والمصيبة أننا.. فى كل بلاد المسلمي
لا نملك من السحر ما يضاد سحره.. وليس لدي
من قدرة علي دفعه.

- لا يا سمعان.. إلى هنا وأستوقفك.. المعجزة الت
لدى هذا الساحر ما كانت معجزة إلا بسب
التدهور والتخلف الذى وصلنا إليه.

- أى تدهور وأى تخلف يا مؤمن؟!

حال العرب والمسلمين يا سمـعان.. هل يعجبك..
أهملنا ديننا يا أخى.. أهملنا الرسالة التى خُلقنا من
أجلهـا.. أحبـبنا الحيـاة وكرهنا الموت.. أتعـرف يا
سمـعان.. لو وضع كل غلام مـسلم كلام صـحابة
الرسـول ﷺ نصب عينيـه ولم يحـد عنه، فسـوف
يكبر وينفع أمته ويعز الإسلام.

ماذا قال صحابة الرسول ﷺ ؟

قـال عـمـر رضى الله عنه: نـحن قـوم أعـزنا الله
بالإسـلام... فـمن ابتـغى فى غـيـره العـزة... أذله
الله.. ألا ترى؟!.. الناس الآن يبـتـغون العـزة فى
الغرب.. فـى التشبُّـه بالغرب.. فى حب الـدنيا...

فى الابتعـاد عن الدين واعتبـاره تخلفًا ورجعـية..
كل من ترك العـبـادة والتقـرب إلى الله.. وجـرى
وراء الدنيـا ومظاهرها.. وأحب الكفـار وجـعلهـ
أولياءه من دون الله.. فـلا خير فيـه.. اغسل يديك
منه ياسمعان.

- إذًا.. ما العـمل الآن.. يبدو أن هذه المغـامرة أكـبر
منك يا مؤمن.

- أكـذب عليك إن قلت خـلاف ذلك... هى أكـبـ
منى وحدى... إنها مغامرة أمة بأكملها.. المسلمو
يتـفـرجـون على إخـوانهم، يموتون.. يذبحـون .
يتألمون.. يجـوعون... يُهـزمون.. ولا أحد يتـحرا
للنجدة.

- مؤمن.. لا تصيبنى بالإحباط يا صديقى.. لابد لنا من القضاء على الساحر.

- وبلدة بين النهرين.. ألا يجب أن ننقذها؟.

- طأطأ سمعان رأسه قائلاً فى حزن:

- لقد انتهت يامؤمن عن بكرة أبيها.. هزمها الطاعون.. واحتلتها الثعابين.

- لا حول ولا قوة إلا بالله.. إنا لله وإنا إليه راجعون... إذًا... إذًا سيأتى الدور على القرية المجاورة.. وغداً على التى بعدها.. حتى تأكل الثعابين كل لسان يوحد بالله.

- علينا إذاً أن نقتل الحية الكبرى.. وأن ننقذ بلادنا منها.

لم يتكلم مؤمن... ولم يرفع نظره عن الأرض:

- مؤمن.. يا مؤمن.. ماذا بك؟

تنهد مؤمن وقال والكلمات تخرج من حلقه كأنها أحجار ساخنة:

- يقتلنى حزنى على الإسلام.. والجبن والخوف الذى استشرى فى أمته.

- دعك من هذا.. ابدأ بنفسك.. افعل أنت أى شىء..عسى أن يفعل الآخرون مثلك.. اضرب لهم مثلاً.

- سأفعل يا سمعان... لكن... على المسلمين أشياء أخرى.. جهاد كبير... عليهم أن يعودوا إلى الله.. وهذا أمر لا يحدث إلا بتوفيق الله.. على كلٍ ياسمعان.. أنا وسيفى فداء الإسلام.. وأبذل دمى فى سبيل الله..

- ما يجب أن تعرفه يا مؤمن.. وأظن أنك تعرفه...أن لليهود العلو الكبير فى آخر الزمان.. وسيأتى اليوم الذى يتجبرون فى الأرض حتى تحين نهايتهم.. وأن المهدى المنتظر سيأتى.

- لا... دعك من هذا الآن يا سمعان.. انتظار المسلمين للمهدى لا يعنى أن يتوقفوا عن الجهاد.. عن العلم والعمل والكفاح.. الله وحده... الله

وحده الذى يعلم متى سيأتى.. قد يأتى بعد ألف عام.. فهل نرضى بالذل والهوان حتى يأتى المهدى؟!.. لا يا صاحبى.. ليأتى وقتما يشاء الله... ماذا بك.. على المسلم العمل والكفاح والجهاد وقتال الأعداء إلى يوم الدين... أنسيت كلام الرسول ﷺ.. أنه إذا قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة.. أى زرعة، يريدها تنمو.. فعليه أن يغرسها.

عض سمعان على شفتيه وقال:

- معذرة يا مؤمن.. إن هذا كلام الناس هذه الأيام.. إنهم حقًا يتعلقون بآمال قد لا يكون هذا هو زمانها.. الحق معك يا أخى.. إنهم يذكرون كلامًا

عن معركة هرمجدون والمهدى... وقتال اليهود...

- نعم ... لكن لا ينبغى أن يعتمد على غيبيات لم تحدث حتى الآن، بل على كل مسلم أن يكون فى صفات المهدى.. على كل مسلم أن يظل على كرهه لليهود ويعرف أنهم ألد أعدائه... ولا يأمن لهم أبدًا.. وأن يقاتلهم فى كل لحظة.. بعلمه وبسلاحه وبقلمه وبفأسه ومصنعه وحقله وبيته.

دخلت السيدة أم سمعان تحمل بعض الطعام وهى تقول:

- سمعت حواركما الرائع... لكن.. أما كفانا كلامًا إذًا.. هل نحن حقًا أمة كلام... لأننا نجيد الكلام.. فلا نملك غيره الآن.. تفضلا.. كُلا حتى لا

تتكلمان مرة أخرى.. بل لتتقويا من أجل العمل.

-الحق معك يا سيدتى... كفانا كلامًا.. فمن كثر كلامه.. قلَّ فعله.

وبعد أن تناولوا فى أفواههم لقيمات بلا طعم:

- اسمع ياسمعان.. لدىّ مركبة فضائية.. إنها تحمل ذخائر قوية وشديدة.. وبإمكانها أن تقضى على هذا الساحر.. غداً من الصباح بإذن الله... سنذهب لموقعها ونأخذها حيث كان، ثم ندمر عليه بيته وننسف مكائده.

- يا إلهى.. لم أكن أحلم بذلك... لم أكن أصدق ما سمعته عن مركبتك يا مؤمن.. أخبرنى.. كيف حصلت عليها.

نظر مؤمـن للنافذة ومنهـا إلى السماء المـظلمة إلا من نجومها المتناثرة وقال:

- فى السـماء ياسـمعـان كل مـا تحلم به حقًـا.. إلى السـماء يصـعـد عملك ومن السـمـاء تنزل النعم والأرزاق والإمكانـات.. من حـوَّل نـظره عنهـا.. وابتغى الخير فيما سواها فلن يجد.. إنها أعمال لى صعدتْ إلى السماء... وصعدتُ معها أيضًا.. الله يرفـع الصـالحين.. الذيـن لا يخلـدون للأرض ويطمـعون فـى خيـرها.. وهناك تمكنت من عـمل الخير.. فعدتُ بهذه الركبة.

- أتقصد أنها مركبة...

- مركبة الإيمان يا صديقى.. كل مسلم يمكنه الحصول على واحدة منها.. لكن إذا صلح إيمانه... إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر.. إذا أراد الآخرة ورمى الدنيا خلفه... إذا أصلح دنياه بآخرته.. غداً.. غداً يا صديقى ستراها.. وسترى بإذن الله كيف ستكون وبالاً على الكافرين.

وعندما قام مؤمن من النوم فى الفجر ليصلى لم يقم سمعان.. حاول أن يوقظه فأبى.. وأحس أنه متعب فتركه.. وصلى ثم جلس يقرأ قرآن الفجر، ثم استيقظ سمعان.. وانطلقا إلى حيث جواديهما فى الحوش:

- وداعًا يا أمي.. وداعًا.

- إلى اللقاء يا سمعـان.. إلى اللقاء يا مؤمن... عودا لى بالنصر.

وانطلق الاثنان على جـواديهما.. وكـانت الرحلة طويلة إلى حـيث كانت المركبـة.. وكلما مـروا بأحد المسـافرين سـألاه عن أهل النهـرين وما جـاورها من قـرى.. وكلمـا سـألا أحـدًا كلمـا ازداد القلق... إن الأمر خـطير.. ولم ينقطع سـمعـان طيلة الرحلة عن ذكرالمركبة وحلمه بأن يراها:

- مركبة الإيمان.. مركبـة الإيمان.. يا لها من مركبة يا مؤمن.

ولم يكن سمعان مع ذلك يداوم على الصلاة مثل مؤمن الذى كان منشغلاً عنه بالاستعداد للمعركة الكبرى... فتارة يصلى مع مؤمن وتارة يعتذر ويتحجج بأنه ذاهب للبحث عن حطب أو عن صيد يعينهما على الرحلة ومشاقها.. وكلنا يعرف أن مؤمن كان دائمًا يدفن مركبته فى الرمال بصحراء بعيدة:

– قل لى يا مؤمن.. أراك تقرأ القرآن فى اليوم مرتين.

– نعم.. أقرأ فى اليوم جزءًا منه.. نصفه فى الليل ونصفه فى أول النهار.. لا أدرى كيف لمسلم أن يبتغى النور فى وجهه والرخاء فى بيته... والنجاح فى مسعاه والسلامة فى دنياه وأخراه وهو يتخذ

القـرآن مـهجـوراً. ثم إن الله تعـالى أمـرنا بقـراءة القرآن وترتيله... وأمرُ الله يجب أن يُنفَّذ.

كـان مـؤمن فى العـادة يكمل حـواره ودرسـه ووعظه.. لكن شـغله بالمركـبة والمعـركـة صرفـه عن ذلك.. وقام مسرعًا إلى الجواد بعد الراحة وهو يحث سمعان:

- هيـا يا سمـعـان.. أمامنا ثلاث لـيال حـتى نصل.. أسـرع.. الـوقت يداهمنا. وفى اسـتـراحـة الـليلة التالية.. يسأل سمعان:

- مـؤمن.. مالـى أراك بالليل لا تنام مـثلى.. وتجلس تتمتم بكلمات.

- آه.. أنا أستـغفر الله يا سـمعان.. فـالنبى ﷺ كان يستغفر الله فى اليوم مائة مرة... وأنا أفعل مثله إن استطعت..

- وهل يجب أن تستغفر الله فى كل ليلة؟

- إن للاستغفـار بالأسحار يا سمعان سـحرًا غريبًا.. من داوم عليه وقال أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القـيـوم وأتوب إليه -مـائة مـرة- كل ليلة.. فـهـو من أهل القـوة والرخـاء والسـلامـة والعافية والثراء أيضًا.

- يا إلهى... كيف هذا بالله عليك.

- الآية تقول.. ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم

بِأَمْــوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْــعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْــعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠ - ١٢].

ونام سمعان ولم يصل العشاء.. وظل مؤمن يفكر فيــما حــصل عليه من مــعلومات عن مكان الســاحر وقلاعه الحصينة وكيف سيتعامل معها.

وفى الليلة الأخيــرة ظل سمعــان يشكو من التعب والكسل والإجــهاد والإرهاق أيضًا.. وطلــب الراحة كثيــرًا.. وكلما قام من النوم نام مــرة أخرى، وخشى مؤمن من العطلة فزجره:

- قم يارجل.. قــم بالله عليــك.. مــا هذا الــكسل.. أليس لديك سوى النوم.. قم.. فأمامنا عمل شاق.

تثائب سمعان وقال:

- والله.. لاأدرى كيف طاوعتك فى رحلتك تلك يامؤمن.. ولا أدرى أين ذهب كلامى.. كلامى أنا عن الجهاد والقتال والإسلام.. يبدو أننى أحسن الكلام ولا أحسن الفعل... لا أدرى ما السبب.. آه.. آه لو أن شيئًا يحملنى الآن إلى البيت.. أستظل تحت نخلتنا التى تتوسط حوش الدار.. وتأتى لى أمى بالشاى، ونجلس ونتكلم كما كنا.. نتكلم ونتكلم.. ونشم رائحة الطبيخ وهو ينضج للغداء.. ونرسم خطة لزرع الحقل بمحصول جديد فى العام المقبل..آه.. يالها من أيام جميلة.

- دعك من هذا الكلام وهيا بنا يا أخى.. أسرع وانطلق.

مـؤمن يكاد يجر سـمـعان جـراً إلى حيث كـانت المركبـة، واندهش سمعـان ونسى تعبه ومـعاناته وهو يركب مركبة الإيمان لأول مرة.. لم ير شـيئًا مثلها من قـبل... وأخـذ يتـفـرج على مـؤمن وهو يزيح عنهـا الرمال:

- والآن يا سـمعـان.. أطلق سـراح الجـوادين.. فلن نأخـذهما مـعنا.. دعـهـما يأكـلان حـيث يريدان. وتعـال.. لندخل المركـبة ونـديرها ولنبـدأ مشـوار الجهاد والمعركة.

ودخـلا المركبـة... وانطلق الجـوادان يبـحثـان عن الطعام فى حرية... وجلس سمعان بالمركبة فاغراً فمه

في دهشة وتعجب من كل شيء... وعندما ضغط مؤمن على زر الإدارة لتنطلق المركبة.. لم تتحرك.. ولم يدر المحرك.. وحاول مؤمن مرات ومرات ومرات.. وأصابته خيبة أمل شديدة... وأخذ يفصص كل شيء.. الأسلاك.. المفاتيح... الأزرار.. حتى الشاشة التي توضح الأعطال.. لم تضئ... ولم تعمل:

- عجبًا... كل شيء سليم.. لماذا لم تدر... لماذا لا تتحرك.

- أهذه مركبتك يا مؤمن.. هل تسخر مني يا صديقي..

- أبدًا يا سمعان.. كل شيء كان على ما يرام... صدقني.. قمت بها بالعديد من المغامرات.. لا أدري ما السبب...

- أهذه مركبة الإيمان يا صديقي.. التي تبغي أن تهزم بها أعتى أعتياء الدنيا.... إنها خربة... وما كان يجب أن نقطع كل هذه الرحلة الشاقة من أجل جثة هامدة من الآلات المعدمة.

- لا تقل هذا الكلام ياسمعان.. ادع الله أن تدور... سأحاول مرة أخرى.. يارب...يارب... يارب.

- ها.. لم يستجب الله دعاءك يا مؤمن.. عجبًا.. مؤمن؟!! يدعو الله... ومركبة الإيمان لا

تتحرك؟!.. أمر عجـيب.. عجيب.. ما الذى جرى فى الدنيا.. أين قـوتك وإيمانك يامؤمن.. أين حب الله لك؟

استفزت عبارات سمعان اللاذعة مؤمن فبكى:

- لا... لا تبك ياصـديقى.. نحن لن نهـزم الأعـداء بالبكاء... يجب أن نفـعل شـيئًـا.. هيا.. حـاول.. حاول مرة أخرى.. وتأكد أولاً من أن كل شىء فى مكانه.. هيا يامؤمن..

ومضى نصـف النهار وهو يحـاول ويحاول، دون جـدوى، وظن أن وقـود المركـبة قـد نفـد... الوقـود الذرى قيل له إنه سـيبقى يدير المركبـة لمئات السنين، وزفـر وتنهد وقـرر أن يخـرج منهـا للعـراء.. وتبعـه

سمعان، وجلسا على الرمال فى حيرة... ونظر مؤمن للشمس فعرف أن الظهر قد حان وأن عليه الصلاة... فأخذ يتيمم لأنه ليس لديه ماء.. وقام سمعان يقول.. ها قد ذهب الجوادان.. ويبدو أننا سنموت هنا بجنب المركبة العقيمة.. سأذهب وأبحث عن صيد نتغدى به.. وأقام مؤمن الصلاة وحده وتوجه شطر القبلة وصلى الظهر.. سنة الظهر.. وأخذ يدعو الله أن يرشده إلى ما ينبغى عليه عمله.

وعاد سمعان بعد قليل يحمل أرنبًا وبعض الحطب.. وانشغل فى سلخه وشيه على النار.. ولما

وقعت قطعة من الحطب المشتعل على ساقه العارية صرخ وقفز يجرى ويتألم:

- آه.. النار... ساقى.. ألم شديد يامؤمن.. ألم شديد.. آه.

ووقف مؤمن ينظر له وللمركبة وللنار وللشواء.. ثم هداه الله إلى السبب الرئيسى لتعطل مركبة الإيمان.. وصاح فى سمعان الذى يتألم:

- هل صليت الظهر ياسمعان؟

- يامؤمن...آه..ساقى... أنا فى أى شأن الآن.. ساقى تؤلمنى.

- هل صليت يا سمعان. هل صليت يا سمعان.



تحامل سمعان على نفسه لما رأى من غضب مؤمن وقال: - لا.. لم أصل.. لم أصل الظهر ولا حتى الصبح.. ولا العشاء السابقة.

تقدم منه مؤمن: خرجنا في رحلتنا يومًا كاملاً.. أليس كذلك؟.. لم تصل معي خمسة فروض، يومًا بكامله.. ماذا بك.. ماذا بك؟!.

- سبحان الله.. ماذا بك أنت يا مؤمن.. ماذا بك أنت.. لماذا الآن فقط تدعوني وتأمرني بالمعروف وتنهاني عن المنكر.

- لأنه... لأنه.. لأن هذا هو السبب في تعطل مركبة الإيمان.

- يا إلهى.. مركبة الإيمان تعطلت من أجلى أنا.

- بل من أجلنا نحن الاثنان يا صديقى.. إن لهفتى على الجهاد وتفكيرى فى المعركة ورغبتى فى الإسراع، أنستنى.. وعطلتنى عن الرسالة.

- الرسالة.. الرسالة؟!!... مؤمن.. أنت مؤمن...أنت يا رجل لا تترك صلاة من الصلوات.. ولا سنة من السنن ولا نافلة من النوافل إلا وتقوم بها رغم السفر والمغامرات.. أنت يا رجل تقرأ القرآن وتفسر آياته ليل نهار.. وتستغفر الله فى اليوم مائة مرة... وتسبحه عند كل حركة للشمس.. وذكرُ الله رطبٌ به لسانك..

وتقوم من الليل كأفضل عابد.. وتصوم لله أيامًا لا يتخلى فـيها المرء عن الماء والطعـام.. أنت يا مؤمن تساعـد المحتاج وتفعل الخـير... منذ صحـبتك فى رحلتك وكـأنى أصـاحب ملكًا من مـلائكة الله.. أكل هذا وتقـول إن رسالتك قـد تعطلت فـعطلت المركبة؟!!! كيف ؟!!!

تنهد مؤمن وقعد وأشار له بالقعود ثم قال:

- نعم..كل هذا لم يكف ياسمعـان.. حتى خروجى للجـهاد لـم يكف يا أخى.. تعطلت رسـالة الدين عندى مع كل هذا.. أتتصور ياسمعان.. أتصدق؟

- كيف ذلك.. قل لى بالله عليك.

-أقول لـك... أولاً... ما هى الرسالة ياسمعان؟..
اجيبك أنا.. الرسالة: أى الدين.. أى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.. أى التبليغ... الإنذار... التحذير للغير وتوجيه الناس للدين ياسمعان.. للخير.. للعبادة ومعرفة حقوق الله.

- مازلت لا أفهم ما وراء ذلك.

- اعلم يا سمعان.. أن الدين هو ذلك.. تبليغ الناس وتحذيرهم من عقاب الله وتبشيرهم بجنته ورضاه ونعيمه.. وإرشادهم للطاعات.. وللطريقة الصحيحة... لكن الأمر يحتاج لإناء يصلح لحمل هذا الأمانة.. ليس أى إناء يصلح لحمل الدين والدعوة إلى الله.. وكل ما ذكرته أنت عنى هى

صفات جيدة وطيبة.. صفات القلب الذى يصلح للتبليغ.. العبادة والطاعة والذكر الدائم والإيمان السليم.. لكن.. لكن ياسمعان.. إذا امتلأ الإناء فعليه أن يفيض على الآخرين.. ومن ملأ الإناء.. وكان صالحًا تقيًا ثم جلس فى بيته لا يعلِّم أحدًا من الناس... ولم يحذِّر أحدا من النار ولم يأمر بالمعروف أو ينهى عن المنكر.. فلا لزوم له.

ما فائدة العلم إذًا... وها أنا رأيتك لا تصلى فلم أعبأ بك.. ولم أنهك عن ذلك.. ولم آمرك بالصلاة والمحافظة عليها.. لذلك تعطلت رسالتى.. وأخطر شىء يا أخى أن يرى المؤمن صاحبه يأتى منكرًا أو يقصر عن طاعة وفرض ثم لا يقوم بواجبه نحوه.

- ياه.. ياه... أكل هذا تعلمه يامؤمن؟.. أنت غلام عالم.. شيخ.

- وإذا لم أدع إلى الله.. فلا لزوم لى .. ويتعطل حالى.. وتتعطل مركبة الإيمان.

- إذًا.. إذًا.. أعدك أن أصلى الوقت فى وقته من الآن.. وأن أقرأ القرآن كل يوم.. سأقرأ كل يوم جزءًا من القرآن بتدبر... وسأستغفر الله مائة مرة كل يوم.. ولن أدع التسبيح.

- ليس هذا فقط.. بل وأن تدعو كل من تراه إلى الدين.. فإذا كان مسلمًا تدعوه لمزيد من الهدى.. وإذًا كان يأتى منكرًا.. فعليك به.. فإن امتثل لك فهو خير صديق.. وإن أبى فلا تصاحبه حتى لا

يحاسبك الله على رفقته.

- إذًا كم من الوقت أصبر على أصدقاء لا يصلون مثلي.

- لا.. إياك أن تلقى نصيحتك ولا تصبر عليها.. بل مرات ومرات حتى يرجع صاحبك إلى الله.. مرات ومرات عدة.. فإذا يئست منه وتأكدت أنه لا يمتثل لأمر الله.. فلا تصاحبه بعدها.

- والآن.. هل ستدور المركبة؟

- قم يا أخي.. فتح الله عليك.. تيمم.. وصل ما فاتك من فروض اليوم.. استغفر الله. وبإذن الله ستتحرك المركبة.

وفـوجئ سـمـعـان ودهـش بأن المركـبـة دارت.. واسـتـيقـن من أعمـاقـه أن كل شىء فى حـيـاة المرء مرجعه إلى الله، كما أن منشأه منه تعالى.

وانطلقت المركبة بهـما حيث كان سمـعان يعرف الحقيقة ويعـرف مكان الساحر وأعوانه.. ودار حوار بسيط بين مؤمن وسمعان:

– مؤمن.. ماذا أنت فاعل؟.

– لا شىء... فــقط ســأدمــر هؤلاء الأوغـــاد.. سأدمرهم.

– ألا تصبر قليلا حتى يستسلموا لنا؟.

- لا يا صاحبى.. لقد بدأوا بالعداون .... واستخدموا قوتهم أمام شعبنا الأعزل وأنا جندى واحد، جندى واحد أدافع عن مئات الآلاف من المسلمين الأبرياء... فلا مجال للخداع... انظرخلفك.. هناك صندوق القنابل.. افتحه.. افتحه يا سمعان لترى نوعية الذخيرة التى سنحطم بها الأعداء.. على كل قنبلة كتب اسمها.. ما هى الأولى ياسمعان؟

- بسم الله الرحمن الرحيم.. مكتوب على القنبلة «الإيمان».

- وهى الأولى التى سألقيها عليهم.. سمعان.. انظر.. أهذا هو المكان المحدد.. إنه كبير.. أليس كذلك.

- بل هو.. هو... إنه مستعمرة الساحر الغادر.. هل ستطلق؟

- نعم.. إليكم أيها الأعداء قنبلة الإيمان.

وسقطت القنبلة، فأحدثت دويًا هائلاً.. وانفجاراً كبيراً.. وفوجئ مؤمن بأن الحصن الكافر يبادله إطلاق النار.. لكن مركبته كانت مستعدة لأكثر من هذا.. وبدأ توالى إطلاق القذائف المدمرة.. وسمعان يقرأ ما كتب عليها:

- قنبلة العلم.. قنبلة التقوى.. قنبلة القرآن.. قنبلة الصلاة.. قنبلة الاتحاد.. قنبلة الجهاد..قنبلة الموت.

وما هى إلا لحظات حتى جعلت هذه القنابل

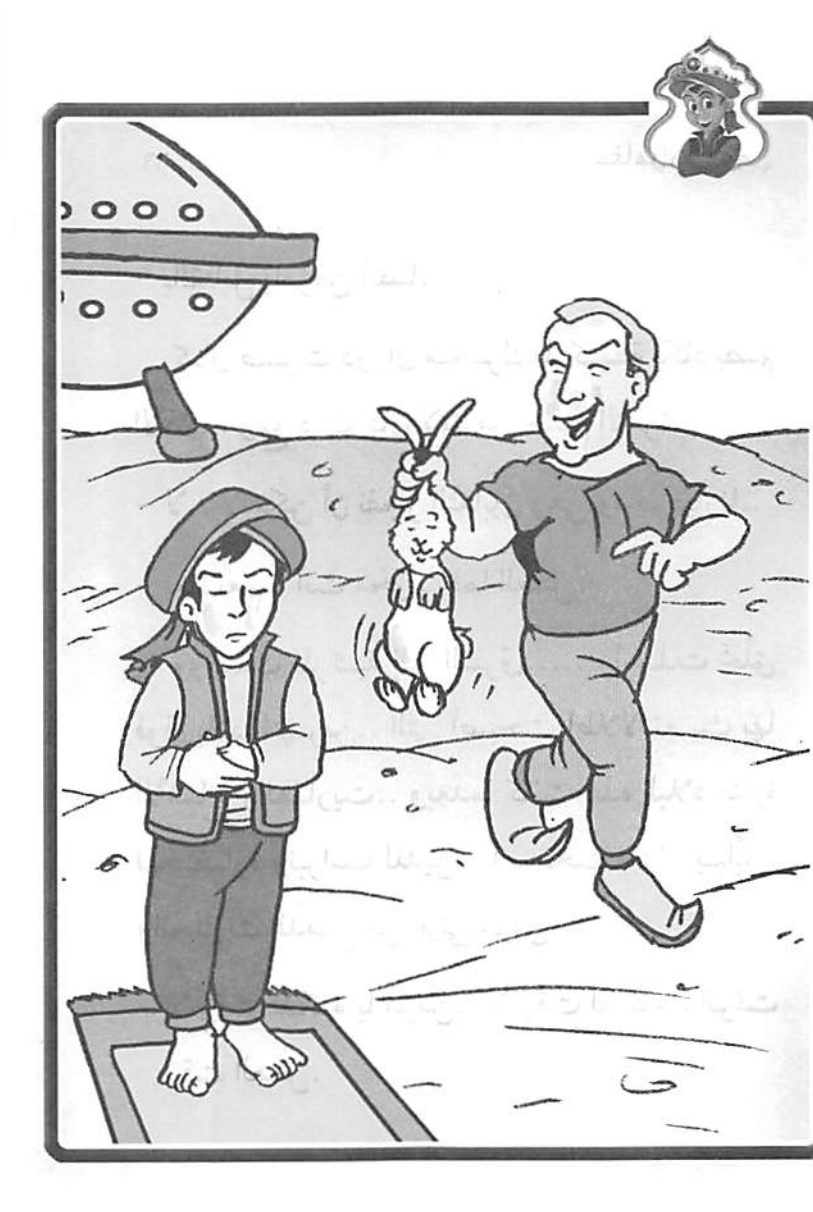
حصن العدو هباءً منثورًا.. وكأنه كان قشًا فاحترق.. وأخذ سمعان يهلل ويقول.. الله أكبر الله أكبر.

– ماذا علينا فعله الآن يا سمعان بعدما قضينا على ساحر الكفار؟.

– لا أدرى... لكن.. ما زالت الثعابين.. هناك.. تعيث فى الأرض فسادًا.. وتبث سمومها فى ديارنا.

استدار مؤمن بالمركبة.. وفتح صمام السرعة على آخره.. وشقت المركبة السحاب فى طريقها إلى بلاد المسلمين فى الشرق:

– سمعان.. لا أدرى ما الذى يمكننى فعله لقتال كل هذه الثعابين.



- بالقنابل يامؤمن أيضًا.

كان صوت دوران محرك المركبة يكاد يصم الآذان.. ومع ذلك كان لابد من حسم الأمر:

- لا.. لا يمكن أن نفجر الثعابين وهى وسط ديارنا..

- نعم نعم.. أنت محق.. فما العمل؟.

ووصلت المركبة إلى الشرق..... وأخذت تحلّق فوق بلاد النهرين.. التى أصبحت أطلالاً تعبث بها الأشباح والعفاريت.. وبعدما كانت هذه البلاد منارة للحضارة ونبراسًا للدين.. أصبحت خرابا يبابًا.. وانحدرت الدموع من عينىّ مؤمن:

- لا وقت للبكاء يا مؤمن.. لا وقت للبكاء.. الوقت وقت العمل.

- معك حق يا سمعان..

- اسمع يا مؤمن.. الثعابين الآن قد نجحت في تدمير بلاد النهرين.. وحسب ما جاءها من قبل من تعليمات.. فهي لن تقف عند هذا الحد.. بل ستعبر الصحراء إلى بلاد سوريا.. وهي من البلاد المسلمة.. ولا أدري.. لا أدري هل وصلت إلى هناك حقًا.. أم ... أم مازالت في الطريق.

- يا إلهي.. لو نجحت في الوصول إلى سوريا.. فتنفث سمومها في الزرع والمياه.. وينتقل الطاعون ويهلك الناس.

- مؤمن... ألا من وسيلة لنعرف مكان هذه الجيوش السامة؟

- جاءتنى فكرة وقائية هائلة.. معى ميكرفون ضخم هنا.. سأحلق فوق القرى فى سوريا.

وطارمؤمن بمركبته فوق قرى سوريا الحبيبة.. وأخذ يصيح فى الميكروفون:

- يا أهل سوريا.. يا أهل سوريا.. ثعابين الطاعون فى الطريق إليكم.. أعدوا لهم ما استطعتم من قوة حتى لا ينجحوا فى دخول بلادكم.. احذروا.

وأخذ مؤمن يردد التحذير.. والناس يتجمعون فى المساجد وعلى النواصى.. وشعروا بمدى الخطر... وراءهم، وكل منهم حمل فأسه وسيفه، وانطلقوا نحو الحدود البعيدة لبلادهم.. ووقفوا فى صفوف متلاحمة وكلهم شوق لملاقاة الثعابين.

- مؤمن.. أرأيت.. أهل سوريا قد اتحدوا.. أى ثعبان سيتمكن من الدخول.. أنت بارع يامؤمن.

- هذا لا يكفى يا سمعان.. أتعرف.. أتعرف.. خروج الناس هكذا يدل على أن الثعابين لم تصل بعد، أى أنها مازالت فى القرية.. لكننى على الارتفاع الكبير لا أستطيع رؤيتها...

- الليل يدخل علينا يامؤمن.. ونحن مازلنا نحلّق بهذه المركبة العجيبة.. ماذا لو اتجهنا ناحية مصر.. ثم نزلنا إلى بيوتنا.

- لا.. لا بيت، ولا راحة.. حتى نقضى على هذه الثعابين.. ياه.. جاءتنى فكرة رائعة ياسمعان.

- يالهـا من أفكار تلك التى تتـحـفنا بهـا كل حين.. ماذا لديك؟

- فى الليل تكون المركـبة مـهيـأة لاستـعمـال أشعـة الليـزر.. إنهـا... إنهـا ياسمـعـان كـفـيلة بكشف الصحراء.. وتوضـيـح كل نملة تدب على أرضها.. وتظهـر الصورة على هذه الشـاشة.. والآن سـأقوم بعمل مسح شامل للصحراء.

ظل سمعان يلهث وهو ينظر مـحملقًا فى الشاشة حتى ظهرت الثعابين.. يا لها من قوة، يا له من جيش جرار مـن الأفاعى يتـحرك بانتظام وفى إصـرار على الأذى والشر.

-ها هم يا مؤمن.. ها هم يا صاحبى... أرأيت.. كم عددها ياترى.

- يا إلهى.. إنه عدد كـبيـر.. وقد اقتـربوا من سوريا حقًا..

-ما العـمل يا مؤمن.. مـا العمل... ألق عليهـا قنبلة واحدة.

وفجأة صرخ مؤمن!

- سمعان.. إنها تتقـافز.. تحاول الوصول إلينا.. إنها تنفث سمها فى الهـواء.. إياك أن تفتح نافذة.. لقد حصل فيها هرج ومرج شديدان.

- يجب أن تفـعل شـيـئًا يا مـؤمن.. لا أدرى كـيـف

وصلوا إلينا هنا... الثعبان يكور نفسه ثم ينطلق كالصقر فى الهواء.

- اهدأ ياسمعان.. سأرتفع وأبتعد ... لم أكن أتصور أنها بهذا العدد والقوة.

-وما العمل...ما العمل.

نظر مؤمن لسمعان بكل هدوء وقال ببساطة:

-لا شيء.. بفضل الله وتثبيته.. سأحرقها كلها.. سأدور دورة مبتعداً ثم أنقض عليها مقتربًا منها.. وأطلق دفعات غزيرة من السائل الحارق.

- السائل الحارق؟ ألديك هنا سائل حارق.

- نعم.. هناك إنتاج وفير يتكون منه كلما احتجت إليه ...

- وهل له اسم، ذلك السائل الحارق؟

- بالتأكيد.. اسمه سائل الرباط.

- الرباط.... هذا اسم مدينة.

- لا.. بل هو الرباط فى سبيل الله.. الاستعداد الدائم للحرب.. الرباط هو أن لاينسى المسلم القتال.. وأن يستعد له فى كل وقت.. وأن يحب القتال.. ويتمنى الموت فى سبيل الله.. إنه التحفز.. التحفز الدائم... واليقظة.. المرابطة هى قضاء

العـمر فى الجـهاد.. وتجـميع القـوة وإعداد العـدة وتكوين الجيش.

- إذًا... أرنا سائل الرباط الحارق هذا.

ودارت المركبة دورة واسعـة.. حتى ظنت الثعابين أن الخطر قـد ابتعـد.. ثم فاجـأها مـؤمن وهو ينطلق نحو أعدادها الكبـيرة مطلقًا نحوها سائلاً مشـتعلاً.. أضـرم فيـها النيـران.. وظل يشويهـا بدفعـات أكثـر وأكثر.

كانت الأفاعى الغليظة.. السمـينة تحترق.. ودهنها ينفجر فى الهواء بالسم.. وصوت احـتراق أجسامها اللينة يسمعه من كان على بُعدٍ كبير..

ونظر مؤمن من أعلى ليرى رقعة عظيمة فى الصحراء وهى بالليل تضىء بما يحترق فيها من الأفاعى السامة التى كانت تتربص بالبلاد المسلمة.. تريد لها الشر.. وكان أهل سوريا وفلاحوها قد انطلقوا من مكانهم إلى حيث كانت المعركة دائرة.

ولما رأوا حال عدوهم.. وقد مات حرقًا على مشارف بلادهم.. أخذوا يحمدون الله ويهللون ويكبرون:

- الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر .. لا إلا الله... الله أكبر الله أكبر .. ولله الحمد...الله أكبر كبيراً.. والحمد لله كثيراً... وسبحان الله بكرة وأصيلا... لا إله إلا الله..وحده...صدق وعده...

ونصر عبده.. وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده، لا إله إلا الله.. ولا نعبد إلا إياه.. مخلصين له الدين ولو كره الكافرون.

ولأول مرة ينزل مؤمن بمركبة الإيمان إلى الأرض.. وخرج منها هو وسمعان، والتف الناس حولهم يهللون ويكبرون، وهما أيضًا كذلك.

وأقبل قائدهم على مؤمن وعانقه:

- لولا تحذيركم لنا يا مؤمن.. لما انتبهنا للخطر الغربى الماحق هذا.. ومع ذلك.. فأنت توليت عنا قتاله لما حباك الله به من نعمة الإيمان... بمركبة الإيمان.

وكان موقفًا جميلاً ورائعًا.. وقد مات العدو.. وانقطع ذيل الطاعون الرهيب الذى كان يتربص بالبلاد والعباد.

وحصل مؤمن على جوهرته من سوريا... من قائدها... عرفانًا له بالجميل على صنيعه وتحذيره للناس من خطر الطاعون، وعندما عاد إلى مصر مع سمعان.. كان مستبشرًا، لكن سمعان قال له فى حرج شديد:

- مؤمن..سمعت من الناس على أبواب القاهرة أن ساحرًا آخر يستعد بثعابين أخرى.

ضحك مؤمن وقال:

-إياك أن تظن أن أعـداء الإسلام قد مـاتوا كلهم..لا .. إذًا فـمـا مــعنى الجـهـاد... هم إليـنا ينظرون.. ويقـدمون إليـنـا عبـر الصـحارى والبـلاد.. ونحن بعون الله لهم بالمرصاد.

تمت بحمد الله تعالى

***


الإيمان